Journal of the College of Education for Women
مجلة كلية التربية للبنات
June, 30, 2026 [Vol. 37 (2)]
P-ISSN: 1680-8738; E-ISSN: 2663-547X

السمات الأسلوبية والفنية في أبيات المديح النبوي في كتاب التنوير في مولد السراج المنير والبشير النذير لابن دحية الكلبي (ت: ٦٣٣ هـ)

ا.م. د عماد خليفة سليمان داود الدايني

ديوان الوقف السني – دائرة المؤسسات الإسلامية والخيرية، العراق

imad.khaleefa@gmail.com

https://doi.org/10.36231/coedw.v37i2.1946

تاريخ الإستلام: ٢٠٢٥\١٢\١٤، تاريخ القبول: ٢٠٢٦\٤\١٣، تاريخ النشر الإلكتروني: ٢٠٢٦\٦\٣٠

المستخلص:

يهدف بحث "السمات الأسلوبية والفنية في أبيات المديح النبوي في كتاب التنوير في مولد السراج المنير والبشير النذير لابن دحية الكلبي، ت: ٦٣٣ هـ"، إلى جمع أبيات المديح النبوي الواردة في الكتاب، وتقسيمها بحسب المعاني التي دلت عليها، وهي:

- مدح الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم، ومدح صفاته العظيمة، ومدح أهله وعشيرته عليه الصلاة والسلام.
- تأثَّرت شاعر المديح بظهور الإسلام، فأخذ يمدُّ معانيه بألفاظ صريحة من القرآن الكريم ومن السنَّة النبويَّة المطهَّرة، أو مجاراة واقتباس تحقيقا لما يدور في نفسه من معاني وأفكار.
- وظف المديح النبوي الصورة الشعريَّة للتعبير عن المشاعر والعواطف والأحاسيس، فكانت ثلاثة أنواع: تشبيهية واستعاريَّة وكنائية.
- جمعت اللغة الشعريَّة للمديح النبوي بين سهولة اللفظة، وسلامة التركيب.
- لم يكن المديح النبوي شخصيًّا كالغزل، أو النسيب وغيرهما، بل هو شعر يعبر عن صفاء روحيٍّ وهَّاجٍ، وإيمان صادق، فكان هادفًا وملتزمًا له غرض نبيل، يخدم العقيدة، ويدافع عن الإسلام وقضاياه.
- تميز المديح النبوي بالوحدة الموضوعية، فلم ينتقل الشاعر من مقدّمات تمهيديَّة كالغزل وبكاء الأطلال وغيرها، ولم يستطرد إلى موضوع آخر، بل اتسم بوحدة موضوعيَّة دقيقة.
- أكثر أشعار المديح النبوي مقطَّعات، وليس قصائد طويلة، ولعلَّ السبب أنَّه صورة من واقع حياة الشعراء ومعبرا عن مواقفهم الآنية.

الكلمات المفتاحية: الشعر الاسلامي، المديح النبوي، شعر المخضرمين، شعر عصر صدر الإسلام

Stylistic and Artistic Features in the Verses of Praise for the Prophet in Ibn Dihya al-Kalbi's (d. ٦٣٣AH) Book "Al-Tanwir fi Mawlid al-Siraj al-Munir wa al-Bashir al-Nadhir"

Asst. Prof. Imad Khalifa Suleiman Dawood al-Daini, Ph.D.

Sunni Endowment Office – Department of Islamic and Charitable Institutions

imad.khaleefa@gmail.com

https://doi.org/10.36231/coedw.v37i2.1946

Received: Dec 14, 2025; **Accepted**: April. 13, 2026; **Published**: June. 30, 2026

Abstract

This research, "Stylistic and Artistic Features of the Prophetic Eulogies in Ibn Dihya al-Kalbi's 'Al-Tanwir fi Mawlid al-Siraj al-Munir wa al-Bashir al-Nadhir' (d. 633 AH)," aims to collect the verses of prophetic praise found in the book and categorize them according to their meanings:

-Praising the Prophet (peace and blessings be upon him) by extolling his noble qualities and praising his family and tribe (peace and blessings be upon them).

-The poet of the eulogy was influenced by the advent of Islam, and his language was influenced by the Holy Quran and the purified Sunnah of the Prophet, reinforcing his own meanings and ideas.

-The prophetic eulogies employed poetic imagery to express feelings and emotions, using three types: simile, metaphor, and metonymy.

-The poetic language of the prophetic eulogies combined ease of expression with sound structure. - Praise of the Prophet was not personal like love poetry or elegies, but rather poetry expressing a radiant spiritual purity and sincere faith.

-Praise of the Prophet was characterized by a precise thematic unity.

-Most poems of praise for the Prophet came in short pieces, not long poems, perhaps to depict reality and express the poets' attitudes and admiration for the Prophet, peace and blessings be upon him.

Keywords: Prophetic praise, Islamic poetry, poetry of the early Islamic period, Veteran poetry

١ـ المقدمة

الحمد لله الذي اصطفى من خلقه سيدنا محمدا ففضله على الخلق أجمعين، وجعله خاتم النبيين وإمام المتقين وسيد المرسلين، أرسله رحمة للعالمين، وحجة على الخلق أجمعين صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أزواجه وذريته وآله وصحبه والتابعين وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإنَّ الأدب الإسلامي أدب له خصائص ومميزات تعطيه هويته الخاصة به، وتجعله مثالا يحتذى في الحياة وفي التعلم والالتزام، وأخصه ما كان في سيد الأولين والآخرين نبينا محمد صل الله عليه وسلم، وقد شغفت بهذا الأدب، وبتتبع فنونه ومظانه، وكتبت في ذلك بحوثا، ليس لأنه مجال تخصصي الدقيق في الدراسات العليا فقط، بل وجدت فيه جزءا من روحي، وفيه راحتي وسعادتي وزهرة حياتي، ولهذه الأسباب اخترت كتاب ابن دحية الكلبي (التنوير في مولد السراج المنير...)، وبعد اطلاعي عل الكتاب وجدت فيه طائفة من الأبيات الشعرية وبعض القصائد في مدح خير البرية سيدنا محمد صل الله عليه وسلم، فاستخرجت منه أبيات المديح النبوي لدراستها وتحليلها خدمة للأدب الإسلامي، وأسميته: (السمات الأسلوبية والفنية في أبيات المديح النبوي في كتاب التنوير في مولد السراج المنير والبشير النذير لابن دحية الكلبي، ت: ٦٣٣ هـ).

مشكلة البحث:

الوقوف على بدايات المديح النبوي الذي سبق ظهورها البعثة المباركة، وصاحب مولده الشريف (صلى الله عليه وسلم) لما أعطى الله لنبيه من الدلائل الظاهرة والعلامات الباهرة، وصولا إلى مدحه بالنبوة وهداية الناس، وإظهار جودة هذه الأشعار بما يدفع تهمة الضعف عن الشعر الإسلامي.

اهمية البحث:

تكمن أهميته في جمع أبيات المديح واستخراجها من كتاب التنوير للكلبي، وتقسيمها على المعاني التي مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم، كون هذه المادة لم تجمع من قبل، لا سيما وقد انفرد الكلبي في كتاب التنوير ببعض المقطوعات الشعرية التي لم يوردها غيره.

اهداف البحث:

حصر المعاني المدحية ودراسة السمات الأسلوبية والفنية، لهذا المديح، وتقسيمها بحسب معاني المدح التي دلت عليها.

هيكلية البحث:

قسمت مادة البحث على ما يأتي:

١ـ التمهيد: تعريف بالمدح وأهميته.
٢ـ أبيات المديح.
٣ـ السمات الأسلوبية.
٤ـ السمات الفنية.
٥ـ النتائج.

منهجية البحث:

واتبعت في منهج البحث المنهج الوصفي، مستعينا بالمناهج الأخرى التحليلي والتاريخي بما يخدم مادة البحث ويعطي حلولا لمشكلته. واجتهدت في إعداد هذا البحث ليكون بصورة جيدة تليق بالأدب الإسلامي، والله ولي التوفيق.

٢ـ الاطار النظري

٢ـ١ مصطلحات الدراسة

٢-١-١التمهيد:

نقف على معنى المدح والمدائح، وأهمية المدح النبوي:

"المَدْحُ: نَقِيضُ الهجاءِ وَهُوَ حُسْنُ الثناءِ... والمَدائِح: جَمْعُ الْمَدِيحِ مِنَ الشِّعْرِ الَّذِي مُدِحَ بِهِ كالمِدْحة والأُمْدُوحةِ" (ابن منظور، ١٤١٤ هـ: ٢ / ٥٨٩ – ٥٩٠).

والمديح من فنون الشعر الأصيلة التي تبنى عليها كثير من أغراضه، وتشغل حيّزا كبيرا من نتاجه، وتفنّن به الشعراء، حتَّ عدّه بعض النقّاد صنويّ الشعر؛ إذ يقوم الشعر أساسا على المدح والهجاء، وهما الغرضان الأساسان له (أمين، ١٩٨٣ مـ: ٣٩٥، وضيف،١٩٧٤ مـ: ٣٠).

والمديح النبوي هو الشعر المعني بمدح النبي (صلى الله عليه وسلم) وتعداد صفاته الخلقية والخلقية، وشمائله وكل ما يخصه عليه الصلاة والسلام، وعرفها الدكتور زكي مبارك بأنها فن: "من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع؛ لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص" (مبارك، زكي، ١٩٣٥ مـ، ص١٧)

وكثير من شعر عصر صدر الإسلام منصبٌّ على مدح الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم، ومدح شمائله وصفاته وخصائصه العظيمة، مستمدًّا ألفاظه من القرآن الكريم والسنَّة النبويَّة المطهَّرة، وذلك أنَّ "قيام المِدحة والثناء على النبي صلَّى الله عليه وسلَّم والتعظيم والتوقير له قيام الدّين كله، وسقوط ذلك سقوط الدين كله" (الدمشقي، ١٤١٧هـ: : ١ / ٢١٩).

٢-١-٢ أبيات المديح:

جاءت أبيات المديح النبوي في كتاب التنوير في مولد السراج المنير والبشير النذير لابن دحية الكلبي (ت: ٦٣٣ هـ) على عدة صور هي:

٢-١-٣ الاستبشار بعظيم شأنه:

بدأت المدائح النبوية بالظهور مبكرا مع مولد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فقال جد النبي صلى الله عليه وسلم عبد المطلب بن هاشم: محمد وهو في التوراة محمود (الكلبيّ، ١٤٤٢هـ: ١٤٤).

وقالت الشيماء في رسول الله صلى الله عليه وسلم تغنيه وهو رضيع عندهم: الرجز

يَا ربِّ أَبقِ لِي أَخِي مُحَمَّدَا
حَتَّى أَرَاهُ يَافِعًا وَأَمرَدَا
ثُمَّ أَرَاهُ سَيِّدًا مُسَوَّدَا
واكْبِتْ أعاديه معا والحسدا
وَأَعطِهِ عِزًّا يَدُومُ أَبَدَا

وكان أبو عروبة يقول إذا أنشد شعرها: ما أحسن إجابة الله دعاءها! (الكلبيّ، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١ مـ: ٢٩٠ - ٢٩١).

وقال راجز من أهل مكة: الرجز

لَا تَزْهَدِي خَدِيجُ فِي مُحَمَّدِ جَلْدٌ يُضِيءُ كَإِضَاءِ الْفَرْقَدِ

(الكلبيّ، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١ مـ: ٣٠٤، واليهقي، ١٤٠٥هـ: ١ /٩١، والسهيلي، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ مـ: ٢ / ١٥٦، والصالحي، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ مـ:٢ / ١٦٥).

٢-١-٤ مدح عشيرة النبي صلى الله عليه وسلم:

بدأ المديح النبوي بالمولد الشريف للنبي صلى الله عليه وسلم، ولكنها ذاعت وانتشرت مع انطلاق الدعوة الإسلامية وشعر الفتوحات الإسلامية، ومنها ما كان عمَّ إلى العشيرة، لكنَّ الغرض منه مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك أنَّ مدح قوم الرجل مدح له، وأيضا فإنَّ فضل النبي صلى الله عليه وسلم على سائر الخلق سواء عشيرته وغيرها، فالعشيرة أخذت حيزا كبيرا من مكانتها بالنبي صلى الله عليه وسلم، ونالت به عليه الصلاة والسلام منزلة خاصة، فصارت تعرف به، وتمدح به عليه الصلاة والسلام، ومن هذا قول عبدالله بن الزبعرى في هاشم: الكامل

عَمرُو العُلا هاشِمُ الثَّريد لِقومه قَـــوم بِـمَـــكة مسنتين عِـجَـــاف
سُـنَّـــت إليه الرحلـتـــان كِـلاهُـمَـــا سَفَرُ الشِّتاءِ وَرِحلَةُ الأَصيَافِ

كَـــانت قريشٌ بَـــيضةٌ فَـــتَـــفَـــلَّـــقَتْ فَـــالـمُـــحُ خَـــالصةٌ لعبدِ مَـــنَـــافِ
الـــرَّائشينَ وليس يُـــعـــرَفُ رائـــشٌ وَالقَـــائِـلِـــيـــنَ هَـــلُـــمَّ لِـلأَضيَـــافِ
والضاربينَ الكبشَ يبرقُ بيضُهُ وَالمـانِعينَ البيضَ بِـالأسـيَـافِ
لله درُّكَ لَـــــو نَـــزلـــتَ بِـــدارهِـــمْ مَنَـعُوكَ مِـن ذُلٍّ وَمِـنْ إقـــرافِ

(الجبوري، ١٤٠١ هـ - ١٩٨٠ مـ: ٥٣ – ٥٤، والكلبيّ، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١ مـ: ١١٥، وابن هشام، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ مـ: ١ / ١٣٧).

والمسنتون هم الَّذين أصابتهم السَّنة، وهي سنة القحط والجوع. يقال: أسنت القوم، إذا أصابتهم السَّنة الشديدة، ولا يقال: أسنت إلَّا في هذا وحده. وعجاف من العجف وهو الهزال والضُّعف (ابن أبي الركب، ٦٠٤هـ:٤٥ - ٤٦).

وكذلك قول حسان رضي الله عنه: الطويل

وَمَا زَالَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ دَعَـــائِـــمُ عِـــزٍّ لَا تُـــرام وَمَـــفْـــخَـــرُ
هُـم جَـبَـلُ الإسلامِ والناسُ حَـولـهُـم رِضَـــام إِلـــى طَـــودٍ يَـــرُوقُ وَيَـــقـــهَـــرُ
بَـهَـالِـيـلُ مِـنْـهُـمْ جَعْـفَـرٌ وَابْـنُ أُمِّـهِ عَلِيّ وَمِـنْـهُـم أَحْـمَـدُ الْـمُـتَـخَـيّـرُ
وَحَمزَةُ وَالعَـبَّـاس مِـنْـهُـمْ وَمِـنْـهُـمْ عقيل وماء العود من حيث يعصر
بِـهِـم تُـفـرَجُ الأواء فِـي كُـلِّ مَـأزِقٍ عماس إذا ما ضاق بالناس مصدر
هُـمْ أَولِـيـاء الله أَنـزَلَ حُـكـمَـهُ عَـلَـيـهِـم وَفِيهم ذَا الكتاب الـمُـطَـهَّرِ

في البيت الثاني جعلهم للإسلام جبل والناس حول هذا الجبل رضام والرضام: هي صخور عظيمة يرضم بعضها فوق بعض في الأبنية، والطود هو الجبل العظيم، ومنه قوله تعالى: {فكان كل فرق كالطود العظيم}. (ابن منظور، ١٤١٤ هـ: ١٢ / ٢٤٣ و ٣ / ٢٧٠). وهي قصيدة متوسطة بلغت اثنين وعشرين بيتا، قالها في رثاء شهداء معركة مؤتة وهذه المقطوعة خاتمتها، ومطلعها :

تَـأَوَّبَـنِـي لَـيـلٌ بِيَـثـربَ أَعـسَـرُ وَهُـم إِذَا مَا هَوَمَ النَّاسَ مُسهرُ
لذكرى حبيب هيجت لي عبرة سُـفـوحا وأسباب البكاء التذكرُ
بَـلَـى إِنَّ فُـقـدان الحـبـيـب بلية وكم من كريم يبتلى ثم يصبرُ
رأيـتُ خيار المؤمنين تَـواردوا شُـعُـوب وَخَـلَّـفَـا بعدهم يتأَخَّرُ

(مهنأ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ مـ: ١٠٩).

٢-١-٥ التبشير بمبعثه صلى الله عليه وسلم:

ممن بشر بالنبي صلى الله عليه وسلم الحارث الرائش وبين الرائش وحمير خمسة عشر أبا فقال: الوافر

وَيَملِكُ بَعدَهُم رَجُلٌ عَظِيمٌ نبي لا يرخص في الحرامِ
يُسَمَّى أَحمدًا يَـا لَيت أَنِّي أَعـمُـرُ بـعـد مَـبـعَـثِـه بِـعامِ

(الكلبيّ، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١ مـ: ٢٠٢).

وبشر به تبع الأوسط واسمه اسعد ويكنى ابا كرب: المتقارب

شَـهـدتُ عَـلَـى أحمدَ أَنَّـهُ رسول من الله باري النَّسَمْ
فَلَو مُدَّ عُمُرِي إلى عُمُرِهِ لَـكُـنـتُ وَزِيـرًا لَـهُ وابنُ عَمْ
وجاهدت بالسيف أعداءه وفرجت عن صدره كل غم

(الكلبيّ، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١ مـ: ٢٠٣).

٢-١-٦ مدح الاسم الشريف:

من المدائح النبوية مدح اسمه صلى الله عليه وسلم كما قال جده عبد المطلب بن هاشم: محمد وهو في التوراة محمود (الكلبيّ، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١ مـ: ١٤٤).

وكذلك قول حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه: الكامل

وشق له من اسمه لـيـجله فذو العرش محمود وهذا محمد

وأولها:

ألم تر أن الله أرسل عبده ببـرهـانـه والله أعـلـى وأمـجـد

(مهنأ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ مـ: ٥٤ والكلبيّ، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١ مـ: ١٤٤).

وقال العباس بن مرداس السلمي: الكامل

إنَّ الإلهَ بَنَى عَلَيكَ مَحَبَّةً مِنْ خَلقِهِ وَمُحَمَّدًا سَمَّاكَا

وهي قصيدة من اثني عشر بيتا، وهذا هو البيت الثاني، والبيت الأول هو:

يا خاتمَ النُّبَّاءِ إنَّكَ مرسلٌ بالحقِّ كلِّ هدى السبيلِ هُداكا

(السلمي، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ مـ: ٥٤ والكلبيّ، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١ مـ: ١٥٠).

٢-١-٧ مدح القرابة منه صلى الله عليه وسلم:

قالت الشيماء أيضا: الرجز

هَـذَا أَخِي لَـم تَـلِـدهُ أُمِّي
وَلَيسَ مِن نَسلِ أَبِي وَعَمِّي
فَـدَيـتُـهُ مِن مُخوَلٍ مُعَمَّمِ

(الكلبيّ، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١ مـ: ٢٩١).

٢-١-٨ مدحه صلى الله عليه وسلم بالنبوة:

قالت الشيماء يوم أسرت مع قومها: المتقارب

تَـجَـلَّـى الظَّـلامُ بِـبَـدر الـتَّـمـام خَـيـرَ الأَنـام أبَـا القـاسِـم
نَـبِـيٍّ رَحـيـمٍ شَـريـفٍ كَـريـمٍ ودودٍ حَـلِـيـمٍ عنِ الجارِمِ
أَتنسى بنجدٍ رَضاعيْ وعهديْ وَأنتَ رسـولٌ إلى العـالَـمِ
أَتـذْكُـرُ بِـالسَّـرحِ أو بِـالـغَـديـرِ لُعَـيبًا من اللعب بالرادمِ
وَقَـد عَـضَّ فوكَ يَـدِي عَـضَّـةً ففنفسي فداؤك من غارمِ
وَأُمِّـي أُمُّـكَ مَـنْ قَـد عَـرَفـتَ فَـأينَ المزاحُ مِـنَ اللازمِ

(الكلبيّ، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١ مـ: ٢٨٩ – ٢٩٠. تفرد الكلبي بذكره، وقال المحقق: لم أقف على من ذكره. قلت: ولم أعثر على ذكر له عند غيره. الباحث).

وقال ضمام بن ثعلبة السعدي:

خَلَعنَا اللاتَ وَالعُزَّى جَمِيعًا وَأَمسَكـنَـا بِدِينِ اللهِ دِينَـا
كِـتَـابٌ جَاءَنَـا مِن عِـندِ رَبِّي فَعَلِمنـاه خير المرسلينَا
مُحَمدٌ الـرسُـولُ هُـدى ونـورٌ عرفنا من رسالته اليقينا

(الكلبيّ، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١ مـ: ٢٩٠).

وقال زهير بن جرول أبو صرد يوم حنين:

امْـنُـنْ عَـلَـيْـنـا رَسُـولَ اللَّهِ فِي دَعَـةٍ فَـإِنَّـكَ الْـمَـرْءُ نَـرْجُـوهُ وَنَـنْـتَـظِـرُ
امْـنُـنْ عَلَى بَـيْـضَـةٍ قَـدْ عَـاقَهَـا قَـدَرٌ مُمَزَّقٍ شَمْـلُهَـا فِي دَهْـرِهَـا غِـيَـرُ
أَبْقَتْ لَـنَـا الْحَرْبُ هُـتَّـافًا عَلَى حَـزَنٍ عَلَى قُـلُوبِـهِـمُ الْـغَـمَّـاءُ وَالْـغُـمَـرُ
إِنْ لَـمْ تَـدَارَكْـهَـا نَـعْـمَـاءُ تَـنْـشُـرُهَـا يَا أَرْجَحَ النَّاسِ حِلْمًا حِينَ يُخْتَـبَرُ

امْـنُنْ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُـنْتَ تَـرْضَعُهَـا إِذْ فُوكَ تَمْلَؤُهُ مِنْ مَحْضِهَا الدِّرَرُ
إِذْ أَنْتَ طِفْلٌ صَغِيرٌ كُنْتَ تَرْضَعُهَا وَإِذْ يَـزِيـنُـكَ مَـا تَـأْتِـي وَمَـا تَـذَرُ
لَا تَـجْـعَـلَـنَّـا كَـمَـنْ شَـالَـتْ نَـعَـامَـتُـهُ وَاسْـتَـبْـقِ مِـنَّـا فَـإِنَّـا مَعْشَرٌ زُهُـرُ
إِنَّـا لَـنَـشْـكُـرُ لِلـنُّـعْـمَـى وَإِنْ كُـفِـرَتْ وَعِـنْـدَنَـا بَـعْـدَ هَـذَا الْـيَـوْمِ مُدَّخَرُ
فَأَلْبِسِ الْعَفْوَ مَنْ قَدْ كُنْتَ تَـرْضَعُـهُ مِنْ أُمَّـهَـاتِـكَ إِنَّ الْـعَـفْـوَ مُشْتَهَـرُ
إِنَّـا نُـؤَمِّـلُ عَـفْـوًا مِـنْـكَ تُـلْـبِـسُـهُ هَـذِي الْـبَـرِيَّـةَ إِذْ تَعْفُو وَتَـنْـتَـصِرُ
فَـاغْـفِـرْ عَـفَـا اللَّهُ عَمَّا أَنْـتَ رَاهِـبُـهُ يَـوْمَ الْـقِـيَـامَةِ إِذْ يُهْدَى لَكَ الظَّفَـرُ

(الكلبيّ، ١٤٤٢هـ ٢٠٢١ مـ: ٢٩٤).

قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لِلَّهِ وَلَكُمْ " فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: وَمَا كَانَ لنا فَهُوَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وذلك أنَّ أَبو صُرَدٍ زُهَيْرِ بْنِ جَرْوَلٍ، وَكَانَ رَئِيسَ قَوْمِهِ، قَالَ لَمَّا أَسَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَبَيْنَا هُوَ يُمَيِّزُ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَثَبَتَ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَسْمَعْتُهُ شِعْرًا، أَذْكُرُهُ حِينَ شَبَّ وَنَشَأَ فِي هَوَازِنَ حَيْثُ أَرْضَعُوهُ، فذكر هذه القصيدة، وأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَطْلَقَ لَهُمُ الذُّرِّيَّةَ، وَكَانَتْ سِتَّةَ آلَافٍ مَا بَيْنَ صَبِيٍّ وَامْرَأَةٍ، وَأَعْطَاهُمْ أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا. حَتَّى قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ فَارِسَ: فَكَانَ قِيمَةَ مَا أَطْلَقَ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ خَمْسَمِائَةِ أَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَهَذَا كُلُّهُ مِنْ بَرَكَتِهِ الْعَاجِلَةِ فِي الدُّنْيَا، فَكَيْفَ بِبَرَكَتِهِ عَلَى مَنِ اتَّبَعَهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ؟! (ابن كثير، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ مـ: ١ / ٢٣٤).

وشهد أعرابي مدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: البَسِيط

هَـــلَّا دَفَـنـتُـم رَسُـولَ اللهِ فِـي سَـفَـطٍ مِـنَ الأَلـوة أَحـوَى مَلـبَـسا ذهبا
أو في سحيق من المسك الذكي ولم ترضوا لجنب رسول الله متَّربا
خَـيـرُ الْـبَـرِيَّـة أَتـقـاهـا وَأَكْـرمـهَـا عِـنْـد الْإِلَـه إِذا مَا ينسبون أَبَا

فَقَالَ أَبُو بكر رَضِي الله عَنهُ: "إِنِّي لأرجو أَن يغْفر الله لَك بِمَا قلت، إِلَّا أَن هَذِه سنتنا" (الكلبيّ، ١٤٤٢هـ ٢٠٢١ مـ: ٦٨٩، وابن ناصر الدين، د.ت: ١٦٦).

٢-٢ السمات الاسلوبية:

امتازت أبيات المديح النبوي في كتاب التنوير بعدَّة خصائص أسلوبية، أعطته طابعه الخاصّ، وميزته عن غيره من شعر المديح، وأهمُّ هذه المميزات:

٢-٢-١ سهولة اللفظ وتجنب الاغراق والتكلف:

مما يميز أسلوب المديح النبوي أنه سهل اللفظ بالقياس إلى الأغراض الأخرى، واضح المعنى، قريب التعبير، فلا تكلف فيه ولا تصنع، ويعدُّ هذا طبيعيا؛ لأنَّ نابع من شعور صادق، ومن عاطفة حقيقية، فكان انعكاسا لما في الضمير، وصورة عما في القب، وهذا من الأمور التي جعلته محبَّبا إلى النفوس الكثيرين، كما في قول العباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه: الكامل

إن الإله بنى عليك محبة من خلقه ومحمدا سماكا

(الكلبيّ، ١٤٤٢هـ ٢٠٢١ مـ: ١٥٠).

فهو يجعل محبو رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء ربانيا بناه الله في النفوس، وأعطاه صفة الثبوت في القلوب؛ غذ البناء لا يكون إلا على أسس قوية ثابتة، ومن المعاني أيضا أنَّ اسمه هو تسمية من الله تعالى، ولم يكن مجرد اسم، ولذلك بشر به النبيون جميعا منذ آدم عليه وعليهم الصلاة والسلام، ومثله مدح حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه إذ قال: الكامل

وَشَقَّ لَهُ مِن اسمِهِ لِيُجِلَّهُ فَذُو العَرشِ مَحمُودٌ وَهذَا مُحَمَّدُ

(مهنأ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ مـ: ٥٤، والكلبيّ، ١٤٤٢هـ ٢٠٢١ مـ: ١٤٤).

وهي قصيدة فريدة تجلت فيها معاني الإيمان والصدق مع سهولة اللفظ وضوح المعنى، وأولها:

أَلَم تَرَ أَنَّ اللهَ أَرسَلَ عَبدَهُ بِبُرهَانِهِ وَاللهُ أَعلَى وَأَمجَدُ

(مهنأ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ مـ: ٥٤).

فكانت هذه القصيدة المدحية المباركة مثالا للشعر الإسلامي الملتزم الذي ينافح عن الحق وينصر الإسلام وينشر الدين الرباني.

وكما قال راجز من أهل مكة: الرجز

لَا تَزْهَدِي خَدِيجُ فِي مُحَمَّدِ جَلْدٌ يُضِيءُ كَإِضَاءِ الْفَرْقَدِ

(الكلبيّ، ١٤٤٢هـ ٢٠٢١ مـ: ٣٠٤، واليهقي، ١٤٠٥هـ: ١ /٩١، والسهيلي، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ مـ: ٢ / ١٥٦، والصالحي، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ مـ:٢ / ١٦٥).

وكما في قول أعرابي حضر عندما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم: البَسيط

خير الْبَرِيَّة أتقاها وَأَكْرمهَا عِنْد الْإِلَه إِذا مَا ينسبون أَبَا

(الكلبيّ، ١٤٤٢هـ ٢٠٢١ مـ: ٦٨٩، وابن ناصر الدين، د.ت: ١٦٦).

وهكذا نجد المديح النبوي لشعراء عصر صدر الإسلام ممن عاشوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وآمنوا به وصاحبوه ودافعوا عنه وآزروه ونصروه نجد مدائحهم اتسمت بالصدق والواقع وخلت من أي إغراق في المبالغة، ومن أي تكلف؛ لأنَّ ممدوحهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما الحاجة إلى المبالغة والرسول صلى الله عليه وسلم جامع كامل، له من كلِّ مقام ذروة سَنامه ووسيلتُه (الدمشقي، : ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ مـ: ٨ / ٨٠)، وإلى هذا المعنى أشار حسان بن ثابت رضي الله عنه:

مَا إن مدحت مُحَمَّدًا بمقالتي لَكِن مدحت مَقَالَتي بِمُحَمد

(المحبي، د.ت: ١ / ٤٣٥).

فلما كان الممدوح هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان له فضل على المادح، بأن نال شرف مدحه، فصار كأنَّ مقالته تمدح لحملها اسم النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته وشمائله الشريفة، وأخذ هذا المعنى شاعر معاصر فقال:

فإذا مدحت محمدا بقصيدتي فلقد مدحت قصيدتي بمحمد

حقا والله إنَّ المقالة والقصيدة لتمدح إن مدح بها سيد الخلق وخير الأنام عليه الصلاة والسلام، فهو مديح خاص لم يكن لغرض التكسب أو التملق الموجه إلى السلاطين والأمراء والوزراء، وإنما هذا المدح نابع من الإيمان والحب لأفضل الخلق وخاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ويتسم بالصدق والوفاء والإخلاص والتضحية والانغماس في التجربة العرفانية والشعور الإيماني، فالمدح عند العرب لم يكن أول نشأته بقصد النوال، وإنّما كان للشكر على صنيعة سلفت (القيرواني، ١٩٦٣مـ: ٢ / ٤٩)، وبقي المديح النبوي محافظا على صدق التجربة وصدق الشعور مترفعا عن التكسب.

٢-٢-٢ وحدة الموضوع:

وما تميَّزت به أشعار المديح النبوي عامة، والأشعار الواردة في التنوير خاصة وحدة موضوعها، فلم تحمل أكثر شواهده موضوعات أخرى مما جعله يتميز بوحدة موضوعيَّة دقيقة، كما في قصيدة أبي صرد زهير بن جرول المتقدِّمة، وها أحد عشر بيتا نجد مطلعها:

امْنُنْ عَلَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ فِي دَعَةٍ فَإِنَّكَ الْمَرْءُ نَرْجُوهُ وَنَنْتَظِرُ

امْنُنْ عَلَى بَيْضَةٍ قَدْ عَاقَهَا قَدَرٌ مُمَزَّقٍ شَمْلُهَا فِي دَهْرِهَا غِيَرُ

(الكلبيّ، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١: ٢٩٤، وابن كثير، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ مـ: ١ / ٢٣٤).

ووسطها:

إِذْ أَنْتَ طِفْلٌ صَغِيرٌ كُنْتَ تَرْضَعُهَا وَإِذْ يَزِينُكَ مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ

وآخرها:

فَاغْفِرْ عَفَا اللَّهُ عَمَّا أَنْتَ رَاهِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذْ يُهْدَى لَكَ الظَّفَرُ

(ابن كثير، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ مـ: ١ / ٢٣٤).

وهكذا التزم فيها موضوعا واحدا لم يخرج عنه، ولم يتطرق غلى غيره في أبياتها الأحد عشر.

وكذلك الشيماء بنت الحارث رضي الله عنها: المتقارب

تَجَلَّى الظَّلامُ بِبَدرِ التَّمامِ خَيرَ الأَنامِ أَبَا القاسِمِ

نَبِيٍّ رَحيمٍ شَريفٍ كَريمٍ ودودٍ حَلِيمٍ عنِ الجارِمِ

أَتنسى بنجدٍ رَضاعيْ وعهديْ وَأنتَ رسولٌ إلى العالَمِ

أَتَذْكُرُ بِالسَّرحِ أو بِالغَديرِ لُعَيبًا من اللعب بالرادمِ

وَقَد عَضَّ فوكَ يَدِي عَضَّةً فنفسي فداؤك من غارمِ

وَأُمِّي أُمُّكَ مَنْ قَد عَرَفتَ فَأينَ المزاحُ مِنَ اللازمِ

(الكلبيّ، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١ مـ: ٢٨٩ – ٢٩٠. تفرد الكلبي بذكره، وقال المحقق: لم أقف على من ذكره. قلت: ولم أعثر على ذكر له عند غيره. الباحث)

فهي مقطوعة اتسمت بوحدة موضوعية، وعلى الرغم من تعرضها إلى ذكريات وشجون، وأخذت طابعا قصصيا، لكنها لم تخرج عن موضوعها الأصلي وهو المدح، بل سخرت الذكريات والقصص للمدح، وجعلتها إحدى وسائله.

وهكذا نجد أبيات المديح تتسم بالوحدة الموضوعية، ونادرا ما نجد خروجا عنها، أو مخالفة لها، ولعل مردَّ هذا إلى أنَّ أكثره جاء على مقطوعات، أو أبيات، وليس قصائد طوال، فلم يحتوي أكثره على المقدِّمات الغزلية أو بكاء الأطلال، أو استطراد إلى موضوع آخر.

٢-٢-٣ قصر القصيدة:

مما تميَّزت به أشعار المديح النبوي عامة، والأشعار الواردة في التنوير خاصة قصر قصائده، بل إنَّ أكثره جاء مقطَّعات لا قصائد، ولعلَّ مردُّ هذا إلى أنَّه تعبير آني عما يختلج في النفس، وتصوير لشعور حاضر بعيد عن التكلف والإغراق في المبالغات، فجاءت أشعاره صورة من واقعهم، والتحولات الدينية والفكرية التي عاشوها، كما في قول الشيماء رضي الله عنه في رسول الله صلى الله عليه وسلم تغنيه وهو رضيع عندهم في بني سعد: الرجز

يَا رَبِّ أَبقِ لِي أَخِي مُحَمَّدَا حَتَّى أَرَاهُ يَافِعًا وَأَمرَدَا

ثُمَّ أَرَاهُ سَيِّدًا مُسَوَّدَا واكْبِتْ أعاديه معا والحسدا

وَأَعطِهِ عِزًّا يَدُومُ أَبَدَا

(الكلبيّ، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١ مـ: ٢٩٠ – ٢٩١).

ومثله قول ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه:

خَلَعنَا اللاتَ وَالعُزَّى جَمِيعًا وَأَمسَكنَا بِدِينِ اللهِ دِينَا

كِـتَـــابٌ جَاءَنَـــا مِن عِـنـدِ رَبِّي فَعَلِمنـــاه خير المرسلينَـا
مُحَمدٌ الــرسُـولُ هُــدى ونـــورٌ عرفنا من رسالته اليقينا
(الكلبيّ، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١ مـ: ٢٩٠).

فهو هنا يستلهم أسلوبا جديدا في المديح وليد هذا العصر اكتسبه من تعاليم الإسلام في سلوك طريق الهدى على خلاف ما كان عليه الجاهليون من الكفر والضلال والباطل.
وهكذا نجد أبيات المديح جاءت على شكل ابيات منفردة، او مقطعات، او قصائد قصيرة، وذلك لقصد تصوير مشاعرهم، ومواقفهم، والتعبير عن الموقف الحاضر، من غير تكلف ولا إعداد مسبق، فجاءت الأبيات صدى لواقعهم، معبرا عنه أصدق تعبير وأسهله وأعذبه.

٢-٢-٤ الاقتباس:

من الظواهر الأسلوبيّة التي تميَّز المديح النبوي: اقتباس الألفاظ الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهّرة، كما في قول ضمام بن ثعلبة السعدي:

كِـتَـــابٌ جَاءَنَـــا مِن عِـنـدِ رَبِّي فَعَلِمنـــاه خير المرسلينَـا
مُحَمدٌ الــرسُـولُ هُــدى ونـــورٌ عرفنا من رسالته اليقينا
(الكلبيّ، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١ مـ: ٢٩٠).

فاقتبس الشاعر عددا من الألفاظ الإسلامية مستمدها من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهي: كتاب، وخير المرسلين، والرسول، وهدى، ونور، واليقين، وهذه ألفاظ كلها مما استعملت في القرآن الكريم بمعاني شرعية جديدة، ودلالات إسلامية خاصة، غير معناها اللغوي الذي كان معروفا قبل الإسلام.
وكذلك قول حسان بن ثابت رضي الله عنه: الطويل

وَمَا زَالَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ دَعَـــائِـــمُ عِـــزٍّ لَا تُـــرام وَمَـــفْـــخَـــرُ
هُـم جَـبَـلُ الإسلامِ والناسُ حَـولَـهُـم رِضَـــام إِلـــى طَـــودٍ يَـــرُوقُ وَيَـــقـــهَـــرُ
....
هُـمْ أَولِـيـــاء الله أَنـــزَلَ حُـــكـــمَـــهُ عَـــلَـــيـــهِـــم وَفِيهم ذَا الكتاب الـمُـطَـهَّرِ
(مهنأ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ مـ: ١٠٩، والكلبيّ، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١ مـ: ١١٦).

فاقتبس "الْإِسْلَامِ، وأولياء الله، والكتاب المطهر"، فهذه ألفاظ إسلامية خالصة، لا نجد أمثالها في الشعر الجاهلي، وحتى في شعر الشاعر نفسه قبل الإسلام لم نجد هكذا ألفاظ، مما يجعل المديح النبوي متميز عن غيره من المديح بألفاظ إسلامية خالصة، وهي من أروع مدائح حسان بن ثابت للنبي صلى الله عليه وسلم.
وأيضا قال حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه: الكامل

وَشَقَّ لَهُ مِن اسمِهِ لِيُجِلَّهُ فَذُو العَرشِ مَحمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ
(مهنأ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ مـ: ٥٤ ، والكلبيّ، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١ مـ: ١٤٤).

فجاء بلفظ "ذو العرش"، ولفظ "محمود ومحمد"، بما لهما من دلالة إسلامية، وإظهار لمعنى الحمد في الاسمين، وكما انَّ الله تعالى يحمد، وهو المستحق للحمد فهو محمود، فكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمد كثيرا، وهو محمود عند أهل السماء والأرض فهو محمد، كم جاء هذا جليا في قول عبد المطلب ويروى لغيره:

مُحَمَّدٌ وَهُوَ فِي التَّورَاةِ مَحمُودُ
(الكلبيّ، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١ مـ: ١١٦. وقال المحقق: لم أقف عليه. قلت: ولم يجده عند في غير الكلبي. الباحث).

٢-٢-٥ التكرار:

من أهمِّ المميزات الأسلوبية لأبيات المديح النبوي في التنوير التكرار، وتزداد أهمِّيَّته إذا كان تكرارا عفويًا من غير، فهو يضفي على النصِّ جرسا خاصًّا يؤنس الأسماع، ويؤكد المعنى الذي من أجله جاءت الأبيات، والغرض الذي سيقت له (الحلي، ٢٠٤ مـ: ١٣٤).

وقد جاءت هذه الظاهرة الأسلوبية في ابيات المديح بنوعين: تكرار الحرف، وتكرار الكلمة، ومن ذلك قول حسان رضي الله عنه: الطويل

بَـهَـالِـيـلُ مِـنْـهُـمْ جَعْـفَـرٌ وَابْنُ أُمِّـهِ عَلِيّ وَمِـنْـهُـم أَحْـمَـدُ الْـمُـنَـخَّـيّـرُ

وَحَمزَةُ وَالعَـبَّـاس مِـنْـهُـمْ وَمِـنْـهُـمْ عقيل وماء العود من حيث يعصر

(مهنأ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ مـ: ١٠٩، والكلبيّ، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١ مـ: ١١٦).

فقد كرر كلمة منهم في البيت الأول مرة، وفي البيت الثاني كذلك، لتأكيد فضلهم وسابقتهم في الإسلام، وأنَّ المقصود بهذا المدح وهذا الفضل هم أنفسهم وليس أحد غيرهم، فيشمل الجو الشعري هذه العاطفة؛ ليدرك السامعون فكرة النص الشعري.

وكذلك قول ضمام بن ثعلبة السعدي: الطويل

خَلَعنَا اللاتَ وَالعُزَّى جَمِيعًا وَأَمسَكـنَـا بِدِينِ اللهِ دِينَـا

كِـتَـابٌ جَاءَنَـا مِن عِـندِ رَبِّي فَعَلِـمنـاه خير المرسلينَـا

مُحَمدٌ الـرسُـولُ هُـدى ونـورٌ عرفنا من رسالته اليقينا

(الكلبيّ، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١ مـ: ٢٩٠).

فإنَّه كرَّر كلمة دين في البيت الأول، ليثبت للسماعين أنَّ الدين قد دخل قلبه وروحه، وتعلَّق هو به فلا ينفكُّ عنه بحال، وشكَّل بتكراره كلمة الدين نغمة خاصَّة تنبئ عمَّا في نفسه من شعور بالسعادة، وفرح يغمر النفس بهذا الدين.

وكرر في البيتين الثاني والثالث: اشتقاقات الرسول المرسلين، والرسول ورسالته، وهذا تكرار من نوع خاص، وهو تكرار الكلمات المشتقَّة من جذر لغوي واحد يعطي للسامع حروف الجذر اللغويّ، مع تكرارها بزيادة في الحروف والحركات الاشتقاقية، فيجعل نوعا من التغيير الطفيف في الجرس، والنغم فيزيدهما تلاؤما وتناسبا، ويزيد المعنى قوَّة لما في التكرار من تأثير مباشر في المعنى، لأنَّ "تكرار الكلمات التي تنبني من أصوات يستطيع الشاعر بها أن يخلق جوًّا موسيقيًّا خاصًّا يشيع دلالة معيَّنة" (السعدني، ١٩٨٧ مـ: ٣٨).

وقال أبو صرد زهير بن جرول يوم حنين: البسيط

امْـنُـنْ عَـلَـيْـنـا رَسُـولَ اللَّهِ فِي دَعَـةٍ فَـإِنَّـكَ الْـمَـرْءُ نَـرْجُـوهُ وَنَـنْـتَـظِـرُ

امْـنُـنْ عَلَى بَـيْـضَـةٍ قَـدْ عَـاقَهَـا قَـدَرٌ مُمَزَّقٍ شَـمْـلُـهَـا فِي دَهْـرِهَـا غِـيَـرُ

....

امْـنُنْ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُـنْتَ تَـرْضَعُهَـا إِذْ فُوكَ تَمْلَؤُهُ مِنْ مَحْضِهَا الدِّرَرُ

(الكلبيّ، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١: ٢٩٤، وابن كثير، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ مـ: ١ / ٢٣٤).

فإنَّه كرر الفعل: "امنن"، يريد المن بالعفو، ويستعطف النبي صلى الله عليه وسلم على قومه الذين أرضعوا النبي صلى الله عليه وسلم، ونشأ أول عمره الشريف فيهم، وكذلك كرر قبل ختم قصيدته كلمة العفو، جاء مشحونا بالتكرار للتعبير عن عاطفة جياشة، وعن انكسار وطلب للعفو والرحمة التي غدت اهمَّ شيء يتمناه هو ومن معه من قومه.

وجاء أيضا بلفظة "اللبس" مكررة فقال: البسيط

فَأَلْبِسِ الْعَفْوَ مَنْ قَدْ كُنْتَ تَـرْضَعُـهُ مِنْ أُمَّـهَـاتِـكَ إِنَّ الْـعَـفْـوَ مُشْتَهَـرُ

إِنَّـا نُـؤَمِّـلُ عَـفْـوًا مِـنْـكَ تُـلْـبِـسُـهُ هَـذِي الْـبَـرِيَّـةَ إِذْ تَعْفُو وَتَـنْـتَـصِرُ

(الكلبيّ، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١: ٢٩٤، وابن كثير، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ مـ: ١ / ٢٣٤).

وهذا التكرار لتأكيد طمعه في العفو، وللتأثير في السامعين، وتحريك عواطفهم، لما يطمع به ويرجوه من سلامة قومه وسلامته معهم، وهذا كله لأنَّ التكرار من طرق التعبير عن الحالة الوجدانية للشاعر، فالمعاني لها ارتباط بحالته النفسية، وقد بيَّن ابن جني ذلك فقال: "باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب

المعاني: هذا غور من العربية لا ينتصف٢ منه ولا يكاد يحاط به. وأكثر كلام العرب عليه وإن كان غفلًا مسهوًّا عنه" (ابن جني، د.ت: ٢ / ١٤٧).

يتضح مما تقدَّم أن المديح النبوي يستوحي مادته الإبداعية ورؤيته الإسلامية من القرآن الكريم أولا والسنة النبوية الشريفة ثانيا فهما المعين الصافي والسلسبيل.

ومن أهم ما يتميز به المديح النبوي أنه شعر ديني خالص، وينطلق من روح إيمانية، ورؤية إسلاميّة يهدف إلى تغيير العالم المعاش، والنهوض بالواقع، والتقدم إلى مستقبل أفضل وتجاوز الوعي السائد والتقدم إلى وعي ممكن يقوم على المرجعية السلفية بالمفهوم الإيجابي.

كما أنه شعر تطبعه الصبغة الإيمانية والنفحة الروحانية من خلال التركيز على الحقيقة المحمدية التي تتجلى في السيادة والأفضلية للرسول صلى الله عليه وسلم والإشادة بمكانته وأنه سيد الكائنات والمخلوقات، وأنه أفضل البشر خلقة وخلقا، وهو المعصوم صلى الله عليه وسلم. لذلك يستحق كل تعظيم وتشريف، وهو أحق بالاقتداء به واحتذاء منهجه في الحياة.

٢-٣ السمات الفنية:

٢-٣-١ الصورة التشبيهية:

لا يستغني المتكلم فضلا عن الشاعر عن التشبيه وصوره في الكلام؛ لما له من وظيفة مهمة في إيضاح المعنى وتأكيده، قال أبو هلال العسكري: (التشبيه يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيدا، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب، والعجم عليه، ولم يستغن أحد منهم عنه، وقد جاء عن القدماء، وأهل الجاهلية من كل جيل ما يستدل به على شرفه، وموقعه من البلاغة بكل لسان" (العسكري، ١٤١٩ هـ: ٢٤٣)، ويبين ضياء الدين ابن الأثير أهمّية التشبيه في أنه بجمع صفات ثلاثة: المبالغة، والبيان، والإيجاز (ابن الأثير، د.ت: ٢ / ٩٨)، ولهذا كان من لطائف التعبير ومحاسن الكلام؛ وهو يؤدي إلى زيادة المعنى ووضوحه ورسوخه؛ ووظيفته الأساسية إزالة اللبس، والغموض عن المعنى، وإجلائه للأنظار، وتقريبه للأذهان؛ وهو يتعلق بالنفس أكثر مما يتعلق بالإدراك العقلي المحض، ومما جاء من الصورة التشبيهية في أبيات المديح قول راجز من أهل مكة: الرجز

لَا تَزْهَدِي خَدِيجُ فِي مُحَمَّد جَلْدٌ يُضِيءُ كَإِضَاءِ الْفَرْقَدِ

(الكلبيّ، ١٤٤٢هـ ٢٠٢١ مـ: ٣٠٤، واليهقي، ١٤٠٥هـ: ١ /٩١، والسهيلي، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ مـ: ٢ / ١٥٦، والصالحي، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ مـ:٢ / ١٦٥)

فإنَّه شبه النبي صلى الله عليه وسلم بإضاءة الفرقد، وهما (نَجْمَانِ قَرِيبَانِ مِنَ الْقُطْبِ" (الرازي، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩مـ: ٢٣٨)، وهما لَا يغرُبانِ وَلَكِنَّهُمَا يَطُوفَانِ بِالْجَدْيِ، وقيل: هما من بنات نعش الصغرى (ابن منظور، ١٤١٤ هـ: ٣ / ٣٣٤)، فشبه طلعة النبي صلى الله عليه وسلم وبهاءه ونضارته بإضاءة الفرقد (النجم القطبي) الذي يتلألأ في السماء ولا يغيب، ويهتدي به الناس في سيرهم في البر والبحر، كما قال ابْنُ أَحمر:

يُهِلُّ بالفَرْقَدِ رُكْبانُها كَمَا يُهِلُّ الراكبُ المُعْتَمِرْ

يريد: قَوْمًا رَكِبُوا سَفِينَةً، فغُمَّتِ السماءُ عليهم وَلَمْ يَهْتَدُوا، فَلَمَّا طَلَعَ الفَرْقَدُ كَبَّروا، لأَنهم اهْتَدَوْا للوجهة التي يريدونها (ابن منظور، ١٤١٤ هـ: ٣ / ٤٣١)، وهذا التشبيه من الفرائد، ومن الإبداعات التي سبق إليها هذا الشاعر، فعلى الرغم من اشتهار هذا النجم، وعلم العرب به كافة، لم يكن من تشبيهاتهم المشهورة، وقد شبه راجز مكة النبي صلى الله عليه وسلم به قبل البعثة؛ لأنه خطاب للسيدة ام المؤمنين خديجة رضي الله عنها.

ومن الصور التشبيهية قول زهير بن جرول أبو صرد يوم حنين في طلبه العفو والسماح من النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء في قصيدته:

لَا تَجْعَلَنَّا كَمَنْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ وَاسْتَبْقِ مِنَّا فَإِنَّا مَعْشَرٌ زُهُرُ

(الكلبيّ، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١: ٢٩٤، وابن كثير، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ مـ: ١ / ٢٣٤).

فهو يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يعفو عنهم، وأن يستبق منهم بقية، ولا يجعلهم في حال تشبه حال من شالت نعامته، وهذا مثل "يُقَالُ لِلْقَوْمِ إِذَا ارْتَحَلوا عَنْ مَنْزِلِهِمْ أَوْ تَفَرَّقوا: قَدْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ ... النَّعَامَةُ الْجَمَاعَةُ، أَي: تَفَرَّقُوا" (ابن منظور، ١٤١٤ هـ: ١٢ / ٥٨٤)، ويقال هذا المثل إذا "فَزِعوا

عماد خليفة سليمان Email: imad.khaleefa@gmail.com

فَهَربوا" (ابن منظور، ١٤١٤ هـ: ١١ / ٢٦٢)، وشَالَتْ نَعامَةُ الْقَوْمِ: خَفَّتْ مَنازِلُهم مِنْهُمْ. وَيُقَالُ لِلْقَوْمِ إِذا خَفُّوا ومَضَوْا: شَالَتْ نَعامَتُهم. وشَالَت نَعامَتُهم إِذا تفرَّقت كَلِمتُهم. وشَالَت نَعامَتُهم إِذا ذَهَبَ عِزُّهم؛ ويُقَالُ: شَالَتْ نَعامَتُهم إِذا مَاتُوا وتَفَرّقوا كأَنهم لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلا بَقِيَّة، كما قيل عن ابْنِ ذِي يَزَنَ:

أَتى هِرَقْلًا وَقَدْ شَالَتْ نَعامَتُهم فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَه النَّصْرَ الَّذِي سَالَا

(ابن منظور، ١٤١٤ هـ: ١١ / ٣٧٦) وقصد هذا المعنى زهير بن جرول، لما أصاب قومه من القتل والهزيمة في معركة حنين، فأقفرت ديارهم، وتفرق شملهم بما كسبت أيديهم من تجمعهم وإعلان الحرب على النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، فلما راوا غلبة المسلمين صار يستعطف ويطلب العفو من النبي صلى الله عليه وسلم، ويسترحمه في إبقاء من بقي من قومه، بعد كفرهم وبدايتهم العدوان الذي عوقبوا بسببه (ابن هشام، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ مـ: ٢ / ٤٣٧ – ٤٤٢).

ومع ما في هذه الصور التشبيهية من الإبداع نجدها تتسم بالسهولة والوضوح، وهذا هو ما يميز التشبيه عن الاستعارة؛ لأنَّه حين يأخذ في الإفراط، وإعمال العقل يتحول إلى استعارة (عباس، ١٩٨٣ مـ: ١ / ٢٠٧)، وهذا ما نجده في الصورة الاستعارية.

٢-٣-٢ الصورة الاستعارية:

أسمى من التشبيه في التصوير وفي الروح الشعريَّة؛ لأنَّها تخييل، وهذا ما يجعلها تكتسب القدرة على التلوين والتصوير، فهي في الأصل: انزياح دلاليّ، ويأتي حسنها من خفاء التشبيه؛ فكلَّما عمد إلى زيادة التشبيه خفاء ازدادت الاستعارة حسنا حتَّى يراها المتلقّي أغرب ما تكون إذا كان الكلام قد أَلِّف تأليفا، إن أراد المتكلِّم أن يفصح فيه بالتشبيه خرج إلى شيء تعافه النفس ويلفظه السمع (مطلوب، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ مـ: ١٧٤ – ١٧٧).

والمعنى في الاستعارة يعرف من طريق المعقول دون اللفظ، ولذلك كانت الاستعارة العقليَّة أحسن الاستعارات (الجرجاني، د.ت: ٦٠ وما بعدها)، وهي ادِّعاء وليس نقلا؛ لأنَّ فيها ما لا يمكن تصوَّر النقل فيه، وأصل شرف الاستعارة هو جمع استعارات قصدا إلى أن يلحق الشكل بالشكل، وأن يتمَّ المعنى والشبه (مطلوب، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ مـ: ١٧٤ – ١٧٧)، لكننا نجد حضور الاستعارة أكثر ونصيبها أوفر، فهي تتكرر في أكثر من موطن وفي أكثر من غرض ووجه، كما قال ضمام بن ثعلبة السعدي: الوافر

مُحَمدٌ الــرسُـولُ هُــدى ونــورٌ عرفنا من رسالته اليقينا

(الكلبيّ، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١ مـ: ٢٩٠).

فاستعار لفظتي الهدى، والنور لوصف النبي صلى الله عليه وسلم لما، فهو نور للبصائر، ونور للقلوب، ونور للعقول يضيء طريقها، ويبصر معرفتها، ويوقفها على ما ينفعها، كما أنَّ النور يكشف للرائي ما في الظلام، ويجعله عارفا بطريقه.

ومن الإبداعات والإشارات التي تحمل دلالات إيحائية فإننا سنتناول الصور الاستعاريَّة في أبيات المديح النبوي قول الشيماء: المتقارب

تَـجَـلَّـى الظَّـلامُ بِـبَـدر الـتَّـمـام خَـيـرَ الأَنـام أبَـا القـاسِـم

نَـبِـيٍّ رَحـيـمٍ شَـريـفٍ كَـريـمٍ ودودٍ حَـلِـيـمٍ عنِ الـجـارِمِ

(الكلبيّ، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١ مـ: ٢٨٩).

فجاءت بصورة استعارية تصور فيها النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة الناس وهدايتهم وتنوير بصائرهم، تشبه صورة بدر ليلة تمامه حين يجلو الظلام ويزيله.

وكذلك قول حسان رضي الله عنه: الطويل

وَمَا زَالَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ دَعَـائِـمُ عِـزٍّ لَا تُـرام وَمَـفْـخَـرُ

هُـم جَـبَـلُ الإسلامِ والناسُ حَـولـهُـم رِضَـام إِلـى طَـودٍ يَـرُوقُ وَيَـقـهَـرُ

(مهنأ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ مـ: ١٠٩، والكلبيّ، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١ مـ: ١١٦).

فهذه صورة استعارية قائمة على تصوير موقع آل هاشم في الإسلام، ومكانتهم وقوة تأثيرهم في دعم بنيانه، وقوة صفِّه، فهم للإسلام دعائم عزٍّ للمسلمين، ومفخر للمؤمنين، وهم جبل الإسلام الشماخ فإيراد الشاعر لهذه الاستعارة ليظهر مدى حبه لرهط النبي صلى الله عليه وسلم، ومدى إعجابه بهم، وولاؤه لهم، ومدى قوتهم في الدين وتفانيهم في الدفاع عنه وهي صورة تعبّر عن الحالة النفسيّة للشاعر، توصّل

إليها بالاستعارة التي تحمل دلالة جديدة لم يسبق إليها، إذ استعار لفظ الجبل لمن بقي من آل هاشم، وأضاف إليها دلالة جديدة هي إضافة الجبل للإسلام فأعطى الاستعارة دلالة إسلامية، أي: أنهم عزة ومنعة للمسلمين خاصة، فهم كالجبل الذي يمتنع إليه المسلمون، لذلك قال بعده:"والناس حوله رضام "، وهو بهذه الاستعارة يصور لنا أحاسيسه بشكل يكشف عما تنطوي عليه نفسه؛ بالاستعارة التي هي أقوى من التشبيه وأدل على شاعرية الشاعر (الطوسي، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ مـ: ٢٤٦)، فاستطاع أن يوظّفها لحمل دلالات جديدة، ونقل المضمون الذي لم يريد الإفصاح عنه بصورة بلاغيّة بديعة، وهذه الاستعارات تقوم على الانتقال من المعنى المفهومي إلى المعنى الإيحائي أو الوجداني.

٢-٣-٣ الصورة الكنائية:

تعدُّ الكناية انزياحا دلاليّا؛ إذ يتجاوز من خلالها بالدوال عن أصلها المعجمي إلى دلالات أخرى إيحائية مع الاحتفاظ بدلالاتها الأصلية، فارتبطت الدوال وهي تنهض بالصورة الكنائية بمدلولين: الأول: معجمي غير مقصود، والثاني: رمزي إيحائي هو المقصود، وللصورة الكنائية حضور في أبيات المديح النبوي كما في قول زهير بن جرول أبو صرد يوم حنين: البسيط

فَأَلْبِسِ الْعَفْوَ مَنْ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهُ مِنْ أُمَّهَاتِكَ إِنَّ الْعَفْوَ مُشْتَهَرُ
إِنَّا نُؤَمِّلُ عَفْوًا مِنْكَ تُلْبِسُهُ هَذِي الْبَرِيَّةَ إِذْ تَعْفُو وَتَنْتَصِرُ

(الكلبيّ، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١: ٢٩٤، وابن كثير، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ مـ: ١ / ٢٣٤).

نجد هنا صورة كنائيَّة فيها مدلول إسلاميّ في قوله: " فَأَلْبِسِ الْعَفْوَ" وقوله: " نُؤَمِّلُ عَفْوًا مِنْكَ تُلْبِسُهُ"، كناية عن التنعم بالعفو ليكون لهم حماية وأمنا كالثوب لصاحبه، فاستعار له لفظة اللبس في البيتين: "فألبس العفو" و "عفوا منك تلبسه"، وكنى بلبس العفو عن الهداية إلى الإسلام والتوبة من الكفر، وهو بهذا جسّد العفو، أي: أعطاه لفظ المادي المحسوس، ثم أخذ جزءا من ذلك المحسوس فاكتساه كناية عن طمعه في الدخول في العفو؛ وهذه الطريقة في الكناية جاءت في القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ} (الأعراف: ٢٦)، فأخذ الشاعر هذه الصوَّرة الكنائيّة وزيَّن بها شعره.

وقال ضمام بن ثعلبة السعدي:

خَلَعنَا اللاتَ وَالعُزَّى جَمِيعًا وَأَمسَكنَا بِدِينِ اللهِ دِينَا

(الكلبيّ، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١ مـ: ٢٩٠).

فعبر عن تركه للكفر وتبرؤه منه بعبارة خلع اللات والعزى، وهما أشهر أوثان الكفار، لما للفظة الخلع من قوة المعنى في الترك، والرفض لهما، وفيه إنقاص لهما، فهما لا يعدوان كونهما حجرا أصم لا يقدِّم ولا يؤخر، وهذه الإيحاءات الدلالية نابعة من الإيمان بالله تعالى ربا وإلها خالقا رازقا مدبرا معبودا قادرا سميعا بصيرا معبودا، وأنه لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فلا تدعى معه لات ولا عزى ولا غيرهما.

وكذلك قول حسان رضي الله عنه: الطويل

وَمَا زَالَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ دَعَائِمُ عِزٍّ لَا تُرام وَمَفْخَرُ
هُم جَبَلُ الإسلامِ والناسُ حَولَهُم رضام إلى طود يروق ويقهر

(مهنأ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ مـ: ١٠٩، والكلبيّ، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١ مـ: ١١٦).

فجاء سيدنا حسان رضي الله عنه بصورة كنائيَّة فيها مدلول إسلاميّ في قوله ت: "دَعَائِمُ عِزٍّ"، وقوله "جبل الإسلام" كناية قوتهم وشجاعتهم، وتفانيهم في الدفاع عن الإسلام والنبي صلى الله عليه وسلم، وحماية المسلمين والذود عنهم، ودفع الأخطار عنهم.

٢-٤ الدراسات السابقة

زخرت المكتبة العربية بالكثير من الدراسات التي تناولت المدائح النبوية بالدراسة والتحليل من أشهرها:

- دراسة زكي مبارك ١٩٣٥ مـ "المديح النبوي في الأدب العربي" كما تناول الموضوع في كتابه الآخر: "في الأدب العربي القديم والحديث"

- دراسة إبراهيم عوضين ١٩٩٤ مـ "محمّد صلى الله عليه وسلم بين البوصيري وشعرائنا المعاصرين."

- دراسة محمود على مكي ٩٩١١ مـ "المدائح النبوية".

- ومن آخرها دراسة عبد الله نجيب سالم "ديوان روائع المديح "الذي جمع فيه أمثلة كثيرة من المدائح النبوية.

وأما البحوث والمقالات العلمية ففيها دراسات كثيرة من أشهرها:

-"صورة الرسول العظيم في الشعر المهجري"، مجلة الموقف الأدبي، العدد: 419، سنة: ٢٠٠٦مـ.

- "المديح النبوي الأندلسي بين لسان الدين وابن جابر" أحمد فوزي الهيب- مجلة التراث العربي، العدد: ٩٧، السنة: ٢٠٠٥ مـ.

- مقالة "شعر المديح النبوي في الأدب العربي" جميل حمداوي، محلة الديوان، سنة: ٢٠٠٧ مـ.

- مقالة "المدائح النبوية نشأتها وتطورها في الأدب العربي "حسن سرباز، مجلة العلوم الإنسانية، العدد: ١ / ١٠، السنة: ١٩٩١ مـ.

- مقالة "على ضوء الشعر الملتزم في صدر الإسلام "فيروز حريرجي) محلة العلوم الإنسانية، السنة: ٢، العدد: ٣، ٤.

- مقالة "المديح النبوي وبواعثه في الشعر المهجري" محمد خاقاني، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد: ٩، سنة: ١٣٨٧ هـ.ش.

- مقالة "مقارنة بين حسان بن ثابت والخاقاني في المديح النبوي" تورج زينى وند، مجلة العلوم الإنسانية، العدد: ٥١، السنة: 2004 مـ.

- مقالة "شخصية النبي في الشعر العربي ين القدم والحديث "، الباحثة اللبنانية: نجمة حجار مجلة نزوى العُمانية، العدد: ٥٣، سنة: ٢٠٠٩ مـ.

وعلى الرغم من كثرة الدراسات السابقة ما تزال المدائح النبوية مادة ثرية للدراسة والتحليل في تطورها اللغوي والأدبي والتاريخي وخاصة فيما طرأ عليها من تطورات في الشعر العربي، ويحاول هذا البحث دراسة هذا الأمر في أبيات المديح النبوي عند ابن دحية الكلبي، والإجابة عن السؤال الآتي: ما هي بدايات المديح النبوي الذي سبق ظهورها البعثة المباركة، وصاحب مولده الشريف (صلى الله عليه وسلم)، والتطور الذي صاحبها صولا إلى مدحه بالنبوة، وإظهار جودة هذه الأشعار.

واتبعت في منهج البحث المنهج الوصفي، مستعينا بالمناهج الأخرى التحليلي والتاريخي بما يخدم مادة البحث ويعطي حلولا لمشكلته.

٣. نتائج البحث:

الحمد لله في البدء والختام والصلاة والسلام والبركات على بدر التمام وخير الأنام نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين الكرام، أما بعد: فبفضل من الله وتوفيق أتممت هذا البح الموسوم (السمات الأسلوبية والفنية في أبيات المديح النبوي في كتاب التنوير في مولد السراج المنير والبشير النذير، لابن دحية الكلبي ت: ٦٣٣ هـ)، ولإتمام المادة العلمية ومنهجية البحث العلمي، فهذا عرض لأهم النتائج التي توصل إليها البحث هي:

- المديح النبوي منصبٌّ على مدح الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم، ومدح صفاته العظيمة عليه الصلاة والسلام، ومدح رهطه وعشيرته.
- يستوحي المديح النبوي مادته الإبداعية ورؤيته الإسلامية من القرآن الكريم أولا، والسنَّة النبويَّة المطهَّرة ثانيا، فهما المعين الصافي والسلسبيل الذي أخذ الشاعر المسلم يستمدُّ معانيه بألفاظ صريحة تارة، ومجاراة معانيهما تارة أخرى تحقيقا لما يدور في نفس الشاعر من معاني وأفكار.
- المديح النبوي شعر ديني خالص، وينطلق من روح إيمانية، ورؤية إسلاميّة يهدف إلى تغيير العالم المعاش، والنهوض بالواقع، والتقدم إلى مستقبل أفضل، وتجاوز الوعي السائد، والتقدم إلى وعي ممكن يقوم على المرجعية السلفية بالمفهوم الإيجابي.
- إنه شعر تطبعه الصبغة الإيمانية والنفحة الروحانية بالتركيز على الحقيقة المحمدية التي تتجلى في السيادة والأفضلية للرسول صلى الله عليه وسلم والتنويه بمكانته وأنه سيد الكائنات والمخلوقات،

عماد خليفة سليمان Email: imad.khaleefa@gmail.com

وأفضل البشر خِلقة وخُلُقا، وهو المعصوم صلى الله عليه وسلم. لذلك يستحق كل تعظيم وتشريف، وهو أحق بالاقتداء به واحتذاء منهجه في الحياة، فاتخذ الشعراء المديح النبوي وسيلة للتعبير عما يجول في خواطرهم من مشاعر وعواطف وأحاسيس.

- جمعت اللغة الشعريَّة لأبيات المديح النبوي بين سلامة اللفظة المفردة، وسلامة التركيب اللغويّ.
- شهد شعر المديح النبوي كثيرا من المعالم والأصداء الحديثة التي تنبئ عن التطوُّر الذي شهده الشعر في عصر صدر الإسلام، الناتج عن أثر الإسلام، والتأثُّر بتعاليمه وأحكامه، فلم يكن شعرا شخصيًّا كالغزل، أو النسيب، وما شابه ذلك، وإنَّما هو شعر موجَّه هادف ملتزم بغرض نبيل، هو خدمة العقيدة الجديدة، وما يتَّصل بها من قضايا وأمور، وقد عكس هذا الشعر صفاء روحيًّا وهَّاجا، وإيمانا صادقا.
- لم تختلف أبيات المديح النبوي عن الشعر العربي القديم من حيث الوصف والأسلوب وإن شهدت تطورا في الألفاظ والمعاني.
- تميز المديح النبوي بالوحدة الموضوعية، فلم ينتقلوا من مقدِّمات تمهيديَّة من غزل وبكاء أطلال ووصف الرحيل، أو الرواحل، أو استطراد إلى موضوع آخر، فاختصت القصيدة عندهم بوحدة موضوعيَّة دقيقة.
- أكثر أشعار المديح النبوي مقطَّعات شعرية، وليس قصائد طويلة، ولعلَّ السبب أنَّ شعر جاء صورة من واقع حياتهم، ومعبرا عن المواقف الآنية للشعراء.

٤. توصيات البحث:

- لم تأخذ أشعار المديح النبوي في العصر نصيبا كافيا من البحث والدراسة وسبر أغوارها، والإلمام بمادتها على الرغم من أنَّها مادَّة جيِّدة للدراسة الأدبيَّة واللغويَّة والتاريخيَّة والاجتماعيَّة؛ لذلك يوصي الباحث بالتوجُّه إلى هذا الغرض الذي لا يزال أغلب نتاجه الأدبيَّ مادَّة خصبة وثريَّة للبحث والدارسة.
- على الرغم من جمع المدائح النبوية لكنها محاولات لم تستوعب جميع المدائح؛ لذلك فالمادة بحاجة إلى تتبع وتعقب وكبير عناية من الباحثين لجمعها كاملة، وتحقيق نصوصها ودراستها.
- رفض الزعم الشائع بأن الشعر الإسلاميّ ضعيف، وبيان الحقيقة بأنَّه ينتمي إلى عصر يتميّز بخصائص فريدة، ولذلك نجد في شعر هذا العصر ما يضاهي المعلَّقات، بل يفوق بعضها، فالقول بضعف شعر هذا العصر جناية أدبيَّة كبيرة، ولعلَّه في أحسن الأحوال قيل في أمر خاصٍّ وموقف معيَّن، فظنَّ بعض الدارسين أنَّه حكم عامٌّ على أدب هذا العصر كله، وهذا ما نرفضه جملة لا تفصيلا.

هذا ما تيسر لي فما وفقت فيه للصواب فبفضل الله وتوفيقه، فله الحمد والشكر، وما كان من تقصير أو خطأ أو نسيان فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله صلى الله عليه وسلم منه بريئان.

والحمد لله اولا وآخرا وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين سيد الأولين والآخرين وخاتم النبيين نبينا محمد وعلى أزواجه وذريته وآله وصحبه اجمعين.

المصادر العربية

القران الكريم.

ابن أبي الركب، أبو ذر مصعب بن محمد (أبي بكر) بن مسعود الخشني. (د.ت)، *الإملاء المختصر في شرح غريب السير*، استخرجه وصححه: برونله، بولس، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.

ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد. (د.ت)، *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*، تحقيق: الحوفي، أحمد، وطبانة، بدوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة- القاهرة.

ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد. (١٩٨٦م)، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: الأرناؤوط، عبد القادر، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، عام.

ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي. (د.ت)، *الخصائص*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة.
ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر. (د.ت)، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، تحقيق: عباس، إحسان، دار صادر – بيروت.
ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (١٩٧٦مـ)، *السيرة النبوية*، تحقيق: عبد الواحد، مصطفى، دار المعرفة– لبنان، عام.
ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. (١٩٩٤ مـ)، *لسان العرب*، دار صادر، بيروت، ط:٣.
ابن ناصر الدين، شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد. (د.ت)، *سلوة الكئيب بوفاة الحبيب صلى الله عليه وسلم*، تحقيق: معتوق، صالح يوسف، ومناع، هاشم صالح، دار البحوث للدراسات الإسلامية – الإمارات.
ابن هشام، أبو محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام. (١٩٥٥ مـ)، *السيرة النبوية*، تحقيق: السقا، مصطفى والأبياري، إبراهيم والشلبي، عبد الحفيظ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية.
أمين، أحمد، (١٩٨٣مـ)، *النقد الأدبي*، مكتبة النهضة المصرية، ط: ٥.
البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي. (١٩٨٥مـ)، *دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة*، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى.
الجبوري، يحيى. (١٩٨٠ مـ)، *شعر عبد الله بن الزبعرى*، دار الرسالة، الطبعة الثانية.
الجبوري، يحيى. (١٩٩١ مـ)، *ديوان عباس بن مرداس السَّلمي*، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.
الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد. (د.ت)، *أسرار البلاغة*، قرأه وعلق عليه: شاكر، محمود محمد، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.
الحلي، صفي الدين. (٢٠٠٤ مـ)، *شرح الكافية البديعية*، تحقيق: د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، مركز البحوث والدراسات، سلسلة إحياء التراث، بغداد.
الدمشقي، أحمد بن عبد الحليم. (١٩٨٦ مـ)، *منهاج السنة النبوية*، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى.
الدمشقي، أحمد بن عبد الحليم. (١٩٩٧مـ)، *الصارم المسلول على شاتم الرسول*، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، ومحمد كبير أحمد شودري، دار ابن حزم – بيروت، الطبعة الأولى.
الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. (١٩٦٣ مـ)، *ميزان الاعتدال في نقد الرجال*، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى.
الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. (١٩٩٩مـ)، *مختار الصحاح*، تحقيق: الشيخ محمد، يوسف، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة.
الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس. (٢٠٠٢ مـ) *الأعلام*، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر.
السعدنيّ، مصطفى، (١٩٨٧ مـ)، *البنيات الأسلوبيَّة في لغة الشعر العربيّ الحديث*، منشأة المعارف– الإسكندريَّة.
السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد. (٢٠٠٠ مـ)، *الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام*، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى.
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٩٦٧ مـ)، *حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، الطبعة: الأولى.
الصالحي، محمد بن يوسف. (١٩٩٣ مـ)، *سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد*، تحقيق وتعليق: عبد الموجود، عادل أحمد، معوض، علي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، عام.
ضيف، شوقي، (١٩٧٤ مـ)، *النقد*، مطابع دار المعارف مصر.

الطوسي، أبو نصر السراج، (١٩٦٠ مـ)، *اللمع*، حققه وقدم له وخرج أحاديثه: د. محمود، عبد الحليم، وسرور، طه عبد الباقي، لجنة نشر التراث الصوفي، ملتزم الطبع والنشر: دار الكتب الحديثة – مصر، مكتبة المثنى –بغداد.
عباس، إحسان. (١٩٨٣ مـ)، *تاريخ النقد الأدبي عند العرب*، دار الثقافة، بيروت– لبنان، الطبعة: الرابعة.
العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر. (١٩٧١مـ)، *لسان الميزان*، تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية.
العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد. (١٩٩٩مـ)، *الصناعتين*، تحقيق: البجاوي، علي محمد وإبراهيم، محمد أبو الفضل، المكتبة العنصرية – بيروت.
القيرواني، أبو الحسن بن رشيق. (١٩٦٣ مـ)، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده*- تحقيق: عبد الحميد، محمد محي الدين، الطبعة: الثالثة، مطبعة دار السعادة.
الكلبيّ، مجد الدين أبي الخطاب عمر بن حسن بن علي بن الجُمَيِّل ابن دحية. (٢٠٢١ مـ)، *التنوير في مولد السراج المنير والبشير النذير*، تحقيق وتعليق: الإدريسيّ، نور الدين، والعسري، محمد، تقديم: السمارائيّ، قاسم، دار فارس، توزيع مكتبة أهل الأثر، الطبعة الأولى.
مبارك، زكي، (١٩٣٥ مـ)، *المدائح النبوية في الأدب العربي*، منشورات المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، الطبعة الأولى.
المحبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين (د.ت)، *خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر*، دار صادر – بيروت.
مطلوب، أحمد، (٢٠٠٢ مـ)، *في المصطلح النقديّ*، الدكتور أحمد مطلوب، منشورات المجمع العلميّ العراقيّ – مطبعة المجمع العلميّ العراقيّ – بغداد.
المَقَّري، شهاب الدين أحمد بن محمد. (د.ت)، *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطي*، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: عباس، إحسان، دار صادر- بيروت – لبنان.
مهنأ، عبد، (١٩٩٤ مـ)، *ديوان حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه*، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية.
اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان. (د.ت)، *مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان*، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت.

Translated References

The Holy Quran

Al-Dimashqi, Ahmad ibn Abd al-Halim. (1986). (*Minhaj al-Sunnah al-Nabawiyyah (The Methodology of the Prophetic Sunnah*), (1st ed) edited by: Muhammad Rashad Salim, Imam Muhammad ibn Saud Islamic University.

Al-Dimashqi, Ahmad ibn Abd al-Halim. (1986*). (Al-Sarim al-Maslul 'ala Shatim al-Rasul*. (The Drawn Sword Against the One Who Insults the Messenger), (1st ed). edited by: Muhammad Abd Allah Umar al-Halwani and Muhammad Kabir Ahmad Chaudhry, Dar Ibn Hazm, Beirut.

Abbas, Ihsan. (1983), *Tarikh Al-Naqd Al-Adabi 'ind Al-'Arab* (A History of Literary Criticism among the Arabs), (4th ed). Dar Al-Thaqafa, Beirut – Lebanon.

Al-'Askari, Abu Hilal al-Hasan ibn Abdullah ibn Sahl ibn Saeed. (1999), *Al-*Sina'atayn*, edited by Ali Muhammad al-Bajawi and Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Al-Maktabah al-'Ansariyyah, Beirut.

Al-'Asqalani, Abu Al-Fadl Ahmad ibn Ali ibn Muhammad ibn Ahmad ibn Hajar. (1971). *Lisan Al-Mizan* (The Tongue of the Balance), (2nd ed). Edited by: The Nizamiyya Encyclopedia – India, Al-A'lami Foundation for Publications, Beirut – Lebanon.

Al-Bayhaqi, Abu Bakr Ahmad ibn al-Husayn ibn Ali (1985). *Signs of Prophethood and Knowledge of the Circumstances of the Prophet*, (1st ed). Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut.

Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abd Allah Muhammad ibn Ahmad ibn Uthman ibn Qaymaz. (1963), *Mizan al-I'tidal fi Naqd al-Rijal* (The Balance of Moderation in the Criticism of Men), 1st ed. edited by Ali Muhammad al-Bajawi, Dar al-Ma'rifah for Printing and Publishing, Beirut, Lebanon.

Al-Hilli, Safi al-Din. (2004), *Sharh al-Kafiyah al-Badi'iyah* (Explanation of the Badi'iyyah), edited by: Dr. Rashid Abd al-Rahman al-Ubaydi, Research and Studies Center, Heritage Revival Series, Baghdad.

Al-Jaburi, Yahya. (1980) .*The Poetry of Abdullah ibn al-Zubayr*, (2nd ed). Dar al-Risalah.

Al-Jaburi, Yahya. (1991). *The Collected Poems of Abbas Ibn Mirdas al-Sulami*, (1st ed). Al-Risalah Foundation.

Al-Jurjani, Abu Bakr Abd al-Qahir ibn Abd al-Rahman ibn Muhammad. (n.d.), *Asrar al-Balaghah* (Secrets of Eloquence), read and annotated by: Shakir, Mahmud Muhammad, Al-Madani Press, Cairo, Dar al-Madani, Jeddah.

Al-Kalbi, Majd al-Din Abi al-Khattab Umar ibn Hasan Ibn Ali ibn al-Jumayl ibn Dahiyah. (2021), *Enlightenment in the Birth of the Shining Lamp and Bearer of Glad Tidings and Warner*, (1st ed). Edited and annotated by: Al-Idrisi, Nur al-Din, and Al-Asri, Muhammad, introduction by: Al-Samarrai, Qasim, Dar Faris, distributed by Ahl al-Athar Library.

Al-Maqqari, Shihab al-Din Ahmad ibn Muhammad. (n.d.), *Nafh al-Tayyib min Ghusn al-Andalus al-Rati, wa-Dhikr Wazirha Lisan al-Din Ibn al-Khatib*, edited by Abbas, Ihsan, Dar Sader, Beirut, Lebanon.

Al-Muhibbi, Muhammad Amin ibn Fadl Allah ibn Muhibb al-Din. (n.d.), *A Summary of the Works on the Notables of the Eleventh Century*, Dar Sader – Beirut.

Al-Qayrawani, Abu al-Hasan ibn Rashiq. (1963). *Al-'Umdah fi Mahasin al-Shi'r wa Adabihi wa Naqdihi*, edited by Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, third edition, Dar al-Sa'adah Press.

Al-Razi, Zayn al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Abi Bakr ibn Abd al-Qadir. (1999), *Mukhtar al-Sihah* (Selected Words of the Correct Language), (5th ed). edited by Sheikh Muhammad Yusuf, Al-Maktabah al-'Asriyyah – Al-Dar al-Namudhajiyyah, Beirut – Sidon.

Al-Sa'dani, Mustafa, (1987). *Al-Bunyat al-Aslubiyyah fi Lughat al-Shi'r al-'Arabi al-Hadith* (Stylistic Structures in the Language of Modern Arabic Poetry), Munsha'at al-Ma'arif, Alexandria.

Al-Salihi, Muhammad ibn Yusuf. (1993), *Subul al-Huda wa al-Rashad, fi Sirat Khayr al-Ibad, wa Dhikr Fada'ilihi wa A'lam Nubuwwatihi wa*

Af'alihi wa Ahwaluhu fi al-Mabda' wa al-Ma'ad, (1st ed). edited and annotated by: Abdul Mawjoud, Adel Ahmad, Muawwad, Ali Muhammad, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon.

Al-Suhayli, Abu al-Qasim Abd Al-Rahman ibn Abdullah ibn Ahmad. (2000), *Al-Rawd al-Unuf fi Sharh al-Sirah al-Nabawiyyah li-Ibn Hisham*, (1st ed). edited by: Omar Abdul Salam al-Salami, Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut.

Al-Suyuti, Jalal al-Din Abdul Rahman ibn Abi Bakr. (1967). *Husn al-Muhadarah fi Tarikh Misr wa al-Qahirah*, (1st ed). edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar Ihya al-Kutub al-Arabiyyah – Isa al-Babi al-Halabi & Co., Egypt.

Al-Tusi, Abu Nasr Al-Sarraj, (1960). *Al-Luma'*, edited, introduced, and its hadiths authenticated by: Dr. Mahmoud, Abdul Halim, and Surur, Taha Abdul Baqi, Committee for the Publication of Sufi Heritage, published by: Dar Al-Kutub Al-Haditha – Egypt, Al-Muthanna Library – Baghdad.

Al-Yafi'I, Abu Muhammad Afif al-Din Abdullah ibn As'ad ibn Ali ibn Sulayman. (n.d.), *Mir'at al-Jinan wa-Ibrat al-Yaqzan fi Ma'rifat Ma Ya'tabar min Hawadith al-Zaman*, Al-A'lami Foundation Publications, Beirut.

Al-Zarkali, Khayr al-Din ibn Mahmud ibn Muhammad ibn Ali ibn Faris. (2002), *Al-A'lam* (The Notables), (15th ed) Dar al-'Ilm lil-Malayin.

Amin, Ahmad, (1983), *Literary Criticism*, Egyptian Renaissance Library, 5th edition.

Dayf, Shawqi, (1974). *Al-Naqd* (Criticism), Dar Al-Ma'arif Press, Egypt.

Ibn Abi al-Rukab, Abu Dharr Mus'ab ibn Muhammad (Abu Bakr) ibn Mas'ud al-Khushani. (n.d.), *Al-Imla' al-Mukhtasar fi Sharh Gharib al-Siyar*, edited and corrected by: Brunelle, Paul, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, Beirut, Lebanon.

Ibn al-Athir, Diya' al-Din Nasr Allah ibn Muhammad. (n.d.), *Al-Mathal al-Sa'ir fi Adab al-Katib wa al-Sha'ir*, edited by: Al-Hufi, Ahmad, and Tabana, Badawi, Dar Nahdat Misr for Printing, Publishing and Distribution, Al-Fajjala, Cairo.

Ibn al-Imad, Abu al-Falah Abd al-Hayy ibn Ahmad ibn Muhammad. (1986), *Shadharat al-Dhahab fi Akhbar man Dhahab*, (1st ed). edited by Mahmud al-Arna'ut, hadiths verified by al-Arna'ut, Abd al-Qadir, Dar Ibn Kathir, Damascus – Beirut.

Ibn Hisham, Abu Muhammad Jamal al-Din Abd al-Malik ibn Hisham. (1955). *Al-Sirah al-Nabawiyyah*, (2nd ed). edited by al-Saqqa, Mustafa, al-Abyari, Ibrahim, and al-Shalabi, Abd al-Hafiz, Mustafa al-Babi al-Halabi & Sons Library and Printing Company, Egypt.

Ibn Jinni, Abu al-Fath Uthman al-Mawsili. (n.d.), *Al-Khasa'is*, (4th ed). Egyptian General Book Organization.

Ibn Kathir, Abu al-Fida' Ismail ibn Umar. (1976), *Al-Sirah al-Nabawiyyah, edited by Abd al-Wahid, Mustafa*, Dar al-Ma'rifah – Lebanon.

Ibn Khallikan, Abu al-Abbas Shams al-Din Ahmad ibn Muhammad ibn Ibrahim ibn Abi Bakr. (n.d.), *Wafayat al-A'yan wa Anba' Abna' al-Zaman*, edited by Abbas, Ihsan, Dar Sader – Beirut.

Ibn Manzur, Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad ibn Mukarram. (1994). *Lisan al-Arab*, (3rd ed). Dar Sader, Beirut.

Ibn Nasir al-Din, Shams al-Din Muhammad ibn Abdullah ibn Muhammad. (n.d.), *Salwat al-Ka'ib bi-Wafat al-Habib* (peace and blessings be upon him), edited by Ma'tuq, Salih Yusuf, and Manna', Hashim Salih, Dar al-Buhuth for Islamic Studies – UAE.

Matloub, Ahmad, (2002). *On Critical Terminology*, Dr. Ahmad Matloub, Iraqi Scientific Academy Publications – Iraqi Scientific Academy Press – Baghdad.

Mubarak, Zaki, (1935). *Prophetic Eulogies in Arabic Literature*, (1st ed). Modern Library Publications, Sidon – Beirut.

Muhanna, Abd, (1994). *Diwan Hassan ibn Thabit al-Ansari, may God be pleased with him*, (2nd ed). Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon.

imad.khaleefa@gmail.com :Email عماد خليفة سليمان